

## الموضوع الرابع

السؤال: هل يمكن أن تكون أحداث التاريخ موضوعا للعلم؟

Nafouz

## الحل

### مقدمة طرح مشكلة:

يختص التاريخ بدراسة الماضي الإنساني أي هو بحث في جميع مظاهر الحياة البشرية الماضية المتسلسلة عبر الزمان والمكان، من حوادث سياسية، اقتصادية واجتماعية وفكرية، وبتعبير "ابن خلدون" 1322- 1406 م

التاريخ خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال. ومنه فالأحداث التاريخية إنسانية متميزة عن الأحداث الفيزيائية، الأمر الذي يجعل الكشف عن القوانين التي تحكمها قضية صعبة فهل هذه الصعوبة تمنع من أن تكون الحوادث التاريخية موضوعا للدراسة والمعرفة العلمية؟

بتعبير آخر: هل خصوصية الحادثة التاريخية تمثل عائقا أما تطبيق المنهج العلمي في دراستها؟

## محاولة عرض المشكلة:

**عرض الأطروحة:** يرى بعض المفكرين أن الحوادث التاريخية لا يمكن أن تكون موضوعا للدراسة العلمية، كونها تتميز بجملة من الخصائص والميزات تمنحها من أن تكون علما، من هذه الخصائص:

إن الحادثة التاريخية إنسانية لأنها من صنع الانسان و - مرتبطة به و ليس بطبيعته ، و اجتماعية كونها نتيجة لعلاقة الإنسان بالإنسان، فالتاريخ يهتم بذكر حياة بعض الأفراد من حيث ارتباطهم بحياة الجماعة و تأثيرهم فيها و تأثيرهم بها ، فالشخص الواحد لا يستطيع أن يصنع التاريخ و إنما ضمن جماعة ، كما تتميز الحادثة التاريخية كونها فريدة من نوعها , لا تتكرر تحدث في زمان و مكان محددين ، مرة واحدة و تمضي و يستحيل رجوعها هذه الخصائص تجعل الوقوف على القوانين التي تحكم



الأحداث التاريخية أمرا مستحيلا، فهي بمثابة عائق تمنع علمية التاريخ، و من المعروف عن العلم أنه يعتمد على جملة من المعايير أهمها تطبيق مبدأ الحتمية و يقصد به تكرار نفس الأسباب يؤدي حتما إلى نفس النتائج، فهذا المبدأ يستحيل تطبيقه على التاريخ، فالمؤرخ يجد نفسه يتابع الحادثة التاريخية كحادثة خاصة لا تتكرر يصعب تحديد بداياتها الواضحة و أصولها البعيدة، و كذا نتائجها و اختلاف الباحثين فيها، فنفس الأسباب لا تؤدي بالضرورة إلى نفس النتائج، و هو الذي يمنع التنبؤ بها، ضف إلى ذلك الملاحظة المباشرة التي هي خطوة مهمة من خطوات المنهج التجريبي مستحيلة في التاريخ

فالمؤرخ يعتمد على الملاحظة غير المباشرة، كملاحظة الآثار و الوثائق و سماع الأخبار و ما ينتج عنه من تزييف الأخبار كالحقائق و هذا ما يطرح عائق آخر هو طغيان الذاتية، فالحادثة التاريخية تدون و هي مشحونة بنظرة المؤرخ و انتمائه و نزواته و ثقافته و وطنه و مبادئه ثم إنه زيادة عن الموضوعية فإن التاريخ إنساني



حوادثه شديدة المرونة و نصيب الأفراد في توجيهها كبير، فمن الصعب ضبطها في أرقام رياضية مثلما هو التكميم في علوم المادة ، و يصعب ضبطها تجريبيا أي صعوبة تطبيق التجربة عليها، فلا نستطيع إحداث ظروف اصطناعية للتأكد من فرضيات المؤرخ و هو ما يجعله بعيد عن إمكانية وضع قوانين عامة.

### نقد:

إن مميزات الحادثة التاريخية تجعل منها حادثة فريدة من نوعها لئن اعترضت المؤرخ عوائق فقد كانت حافزا يدفع إلى الحذر والتزام منهج يلائم هذه الخصوصية، فكل دراسة لا بد أن تعترضها جملة من العوائق العرفية تمنعها من أن تكون علمية بصورة دقيقة والمفروض هو تجاوز هذه العوائق.

### التركيب:

يرى العديد من المفكرين أنه يمكن أن تكون الأحداث التاريخية موضوعا للدارسة العلمية إذ أن وعي المؤرخين بطبيعة الظاهرة التاريخية والصعوبات التي تعترضهم جعلتهم يكيفون المنهج التجريبي ليتناسب مع طبيعة هذه الظاهرة حيث يرى "تويتي" أن التفكير التاريخي يعتمد



على وسائل لدارسته وعرضه و يعود الفضل في تدليل هذه العقبات إلى العلامة "عبد الرحمان ابن خلدون " و من جاء من بعده من مرخين أوروبيين في القرن 19 و كان مبدأ اجتهادهم هو اختيار طبيعة الحادثة التاريخية ، إن كانت ماضية فيمكن دراسة انطلاقا من الآثار كالمصادر التي تعبر عنها و إن كانت مستحيلة التجريب فإن المؤرخ بإمكانه اللجوء إلى وسيلة أخرى تقوم مقام التجربة و هي "المقارنة التاريخية " أما الموضوعية فتبقى درجات مرتبطة بخصوصية الحادثة المدروسة و يقوم هذا المنهج على ثلاث خطوات كبرى و أول خطوة فيه هي خطوة جمع المصادر أي البحث عن الآثار المتعلقة بموضوع البحث و تنقسم إلى قسمين :

مصادر إرادية: وهي التي خلفها أصحابها قصدا للأجيال القادمة كالآثار والكتب التاريخية والروايات والوثائق والمذكرات

و مصادر لا ارادية : و هي مصادر خلفها أصحابها دون قصد تاريخي و إنما رامو من وراءها المتعة الفنية و الجمالية و المنفعة , فكاتب البخلاء للجاحظ مثلا , كتب



لأغراض أدبية يستشف منها المؤرخ حياة المجتمع في مأكلة و مشربة و أخلاقه و علاقته و تعبر تعبيراً صادقاً عن حياة المجتمع , تفيد المؤرخ أكثر لأنها كتبت بطريقة عفوية خالية من أي هدف و غاية ( غير مزلقة ) .

وثاني مرحلة هي مرحلة التحليل التاريخي: أي ما يعرف بالنقد وهو نوعان:

نقد خارجي: ويهتم بالأمر المادية كنوع الورق والحبر والخط، وبيان عمر للوثائق للتأكد منها وانتماءها للعصر الذي تتكلم عنه، وقد يلجأ المؤرخ للتحليل الكيميائي لمعرفة ذلك.

نقد داخلي: أم باطني ويتعلق بمضمون الوثائق مثلاً وفيه قراءة ما بين السطور، أي التساؤل عن ولماذا كتبت هذه الوثيقة؟ هل هي أصلية أي ملاحظة المؤرخ والكاتب إن لم يتأثر بانتماءاته، هل كتبها حراً أم تحت الضغط؟

هل هو ملهم بالظروف الجغرافية والسياسية والاجتماعية للتأكد من نزاهة وموضوعية.



وثالث مرحلة هي مرحلة التركيب التاريخي: وهي التي يلجأ المؤرخ فيها إلى تأليف أجزاء الحادثة التاريخية المختلفة و ذلك وفق تسلسلها الزمني و الجغرافي والمنطقي، أي تنظيم الحوادث تنظيماً زمنياً وربطها ربطاً سببياً، مما يترتب عنه ظهور فجوات تاريخية فيملأها بوضوح فروض و استنتاجات منطقية لبيات العلاقات التي تربط بينها و هو ما يعرف بالتعليل التاريخي.

### - التركيب:

إن نتائج علم التاريخ لا تزال تعاني التحيز و غياب الموضوعية وصعوبة التجرد من العواطف أثناء الدراسة، فالمؤرخ يبقى إنساناً خاضعاً للكثير من الدوافع و القيم و الميول ...

### - التركيب:

إن نتائج علم التاريخ "الظاهرة التاريخية التاريخية موضوعاً للمعرفة العلمية بصورة مطلقة لأن ذلك يؤدي بنا إلى فقدان طبيعتها الإنسانية، و عليه فإن القول بأن التاريخ لا يمكن أن يكون موضوعاً للمعرفة العلمية لأنه



يدرس ظواهر تفتقر إلى الشروط الأساسية التي يقوم عليها العلم أمر مبالغ فيه، فالظواهر التاريخية من طبيعة خاصة لذلك يجب أن يكون لها منهاجها خاصة بها

## - الخاتمة:

نستنتج مما سبق أن الظواهر التاريخية بالرغم من أنها ذات طبيعة إنسانية لها خصوصيات التي تميزها عن باقي العلوم الأخرى فإنها قابلة للتحليل و التركيب، فهو منهج يتفق مع طبيعتها فعلم التاريخ يقدم لنا الماضي كمرجعية ينهل منها الانسان مقوماته و هويته الشخصية كأداة فهو ذاكرة الشعوب و الأمم و توافقا مع منهجيته يمكن أن يكون موضوعا للمعرفة العلمية